كلمة سعادة الأستاذ الدكتور

محمد يوسف نجم

الفائز (بالاشتراك) بجائزة الملك فيصل العالمية

للأدب العربي لعام 1412 هـ /1992 م

السبت 10 رمضان 1412 هـ الموافق 14 مارس 1992 م

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد، ونائب رئيس مجلس الوزراء

ورئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو الأمراء

أصحاب الفضيلة العلماء

أصحاب المعالي السعادة

حضرات الزملاء الفائزين بالجائزة

سيداتي سادتي

إنه لشرف لا يعدله شرف في علوه، ومكانة لا ترجحها مكانة في سموها، أن يمثل المرء بين أيدي سموكم الكريم، وأصحاب السمو من أسرتكم، والنخبة المتخيرة من جلة العلماء والمفكرين، ليتسلم جائزة سنية تزدهي بحمل اسم عاهل عظيم من أفيال آل سعود الغر الميامين.

لقد قيل في هذه الجائزة ما قيل من آيات المدح والثناء والتقدير، وسيقال فيها أكثر فأكثر على امتداد عمرها الطويل إن شاء الله، ولن تزيدها كلمات مني أمحض فيها الشكر والتبجيل شرفا على شرفها، أو رفعة على رفعتها، وحسبي أن أذكر ما تميزت به من صفة العالمية، التي نزهتها عن أن تكون لبلد دون بلد أو جنس دون جنس أو دين دون دين، مستلهمة قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) والتعارف هو السبيل إلى الألفة والألفة هي السبيل إلى تبادل الكشوف والخبرات، ومقايسة

المعارف والعلوم التي تؤدي إلى خير بني البشر، ومعنى التقوى قد يمتد، فضلا عن معناه الديني، إلى عمل الخير والسعي بالعلم والبحث إلى تحقيق ما يؤدي إلى سعادة الإنسان، خليفة الله على الأرض، وتجنيبه كوارث الجهل والمرض والفاقة.

وأشهد أن هذه الجائزة، بهذه الصفة التي تميزت بها وبما توحيه من معاني الإخاء والألفة والتعاون في سبيل خير الإنسان وسعادته، كانت تجول في ضمير الراحل الشهيد، من تشرف الجائزة يحمل اسمه، قبل خمسة عشر عاما من إنشائها، فلقد كان من فضل الله علي، وما أكثر أفضاله ومننه، أن حظيت بالجلوس إليه والاستماع منه في شهر شباط (فبراير) 1965م، كنت قد عينت رئيسا لدائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى في جامعتي، الجامعة الأمريكية في بيروت وكلفت رسم خطة للنهوض بالدراسات العربية والإسلامية فيها. وبعد أن وضعت الخطة، تشاورت في شأنها مع صديقي وتلميذي، وتلميذ الجامعة، المرحوم عمر السقاف في إحدى زياراته إلى بيروت، فأشار علي أن أحضر إلى المملكة، وأبسط الخطة بين يدي صاحب الجلالة. ورتب موعد السلفاء، ولقيت الملك، وخضنا في حديث طويل عن النهضة العلمية المرتجاة في مختلف فروع العلم والأدب، وكان مما تفضل به في ذلك المجلس، قوله رحمه الله، حقا أننا أغنياء بديننا وإيماننا ولكننا فقراء إلى العلم والحضارة، فنحن نستهلك وغيرنا ينتج، لقد أعطينا العالم دينا قويما وشريعة سمحة وعلما وفيرا وحضارة زاهرة وهذا دين لنا في أعناقهم، وقد آن لنا أن نسترد هذا الدين. ولذا فمن واجبنا أن نشجع العلم وتؤازر العلماء ونأخذ بأيديهم حتى يبلغ حاضرنا من العلم والتقدم، ما بلغه ماضينا في عصور الحضارة العربية العظيمة.

لقد كان، طيب الله ثراه، يتطلع بشغف إلى النهوض بهذه الأمة وقد عمل في عهده ما استطاع لتحقيق هذه النهضة، وسار على خطاه في جد وإخلاص خليفتاه العظيمان، حتى غدت المملكة اليوم في عهد خادم الحرمين الشريفين تزهى بجامعاتها السبع وبالعديد من المستشفيات المتميزة ومراكز البحث الجادة والمكتبات العامة والمجلات المتخصصة، وبالألوف من طلاب البعثات الذين ينشدون الحكمة أنى وجدوها، والحكمة ضالة المؤمن، في ظل قيادة رشيدة فجرت الأرض عيونا ثرة من الخضرة والخير والثقافة والعلم، وألبست المملكة ثوب العصمة والمتعة، وحلتها بزينة الطمأنينة والأمن.

ومن تمام السيرة العطرة في خدمة العلم، والأخذ بعضد العلماء، واستكمالا لما تم تحقيقه في إنشاء المؤسسات العلمية الزاهرة، يتمنى كل مشتغل بالعلم مثلي، استيحاء لمعنى الجائزة في هذا العام، أن ينشأ في عالمنا العربي مركز عالمي للتعريب والترجمة يكون طريقنا الراحب إلى استشراف رياض الأدب وقرائح الفكر ومآثر الحكمة فنعيد به سيرة نهضتين عظيمتين في تاريخنا، نهضة العباسيين في عصر الرشيد والمأمون، ونهضة مصر في عهد محمد علي باشا، وكلاهما قامت على تعريب العلوم والآداب والإفادة من نتاج قرائح الأمم التي كانت قد سبقتنا أشواطا في الحضارة آنذاك.

وبعد فهذه الجائزة التي حظيت بشرف الفوز بها هي في الحقيقة تكريم للعلم والعلماء في شخصي المتواضع، وتوكيد بأنه غدا للعلماء في بلادنا وفي بلاد العالم عين ترعاهم وقلب يكلأهم وصدر رحيب يسعهم، وأنا لا أنظر إليها باعتبارها تتويجا لعمل ابتدأته وقضيت فيه طوال أربعين عاما من عمري العلمي، بل هي تذكرة بأن العمل الصالح ملاق جزاءه بإذن الله، وتنبيه إلى أن ما يظن أنه نهاية الرحلة، هو بداية رحلة جديدة، يصلح فيها ما استقبله من سنوات العمر، بما صلح به ما استدبرته منها، عملا دائبا وسعيا حثيثا في خدمة أمتي ولغتي وثقافتي. وهذا عهد أقطعه على نفسي في مجلس هو من أجل المجالس وأكثرها هيبة، وفي حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وأصحاب السمو وأصحاب الفضيلة والزملاء رفاق الدرب، وسأفي به إن شاء الله لأن العهد كان مسؤولاً.

وبعد، فإني اختم كلامي بما بدأت به من الحمد والثناء والشكر والدعاء، والحمد لله جل وعلا أولا وآخرا إنه ولي النعمة ومانحها، ومرسل الرحمة وفاتحها، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.